الحجاج في قصيدة حاجب الفيل العينية لما رأت بنتي أني مزمع

الأستاذ المشارك رائدة محمود أخوزهية
قسم اللغة العربية / الجامعة الهاشمية الاردن

المستخلص

تناولت هذه الدراسة الحجاج في قصيدة حاجب الفيل العينية (لما رأت بنتي أني مزمع)؛ لظهور الحجاج فيها بشكل واضح؛ فهي تناقش موضوع الرحيل، وهو من الخطابات التي تحتمل الاختلاف في الرأي، وتنسجم هذه الخطابات مع الحجاج الذي ينمو ويزدهر في الموضوعات التي تحتمل الاختلاف. وتعد القصيدة خطاب شكوى واستعطاف، وكلاهما من الأغراض التي يتوسل صاحبها فيها بالحجاج للوصول إلى غايته. وقسمت الدراسة إلى قسمين: قسم نظري، وقسم تحليلي. أما القسم النظري؛ فقد تحدث عن العينية في كتب التراث، وسبب تهميشها. وعرضت الدراسة فيه، محطات من حياة حاجب الفيل، وموضوع القصيدة: الشكوى والاستعطاف. وأما القسم التحليلي، فقد عني بالكشف عن التقنيات الحجاجية، والروابط والأدوات الحجاجية التي وظفها الشاعر لتحقيق غايته من إنشاء الخطاب. وخلصت الدراسة إلى العديد من النتائج، من أهمها: أن عينية حاجب الفيل من الخطابات المهمشة في تراثنا العربي القديم، وتعد أولى الخطابات التي استغرق بناؤها مشهدًا واحدًا هو مشهد الوداع؛ ولذا انتظمت بها وحدة موضوعية وشعورية. كما انتهت الدراسة إلى أن ابنة الشاعر استطاعت أن تؤثر بالشاعر عاطفيًا، لكنها لم تستطع أن تقنعه بالقعود؛ فقد قدم مصلحة النحن على مصلحة الذات.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، العاطفة، العواقب، القناع، الروابط الحجاجية.

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٤/٠٩/٠٩ **تاريخ القبول: ٢٠٢٤/١٠/٠٧**

Argumentation in the Poem of the Elephant's Guard "When my daughter saw that I was determined..."

Associate Professor Raeda Mahmoud Akhouzeh
Department of Arabic Language / Hashemite University / Jordan

Abstract

This study addressed argumentation in the poem *"The Guard of the Elephant"* (lima ra'at binti anni muzmi'), in which it is clearly evident. The poem discusses the theme of departure, which is a type of discourse that allows for differing opinions. This type of discourse aligns with rhetoric, which thrives in topics open to disagreement. The poem is a discourse of complaint and plea, both of which employ argumentation to achieve the speaker's goal. The study was divided into two parts: a theoretical section and an analytical section. In the theoretical section, the study discussed the concept of *'Ainiyyah* (poems of a particular meter) in classical literature and why it has been marginalized. The section also provided an overview of the life of the Guard of the Elephant and explored the central themes of the poem, namely complaint and plea. The analytical section focused on identifying the rhetorical techniques, connections, and tools employed by the poet to achieve his objective in constructing the discourse. The study concluded with several key findings, the most important of which are: the *'Ainiyyah* of the Guard of the Elephant is one of the marginalized discourses in our ancient Arab heritage, and it is one of the first speeches built around a single scene, that of farewell. This structure resulted in a unified thematic and emotional composition. The study also concluded that while the poet's daughter emotionally influenced him, she was unable to persuade him to stay; he prioritized the collective good over his personal desires.

Keywords: Argumentation, Emotion, Consequences, Mask, Argumentative Links

Received: 09/09/2024 **Accepted: 07/10/2024**

المقدمة

يسعى كل منشئ خطاب إلى التعبير عن انطباعاته حول فكرة ما، أو عن تفاعله مع موضوع، أو تعاطفه مع حالة، أو رفضه، أو استحسانه، أو نبذه لأفكار ما[١]، ورغبته في التعبير عن مقاصده هذه تلعب دورًا في تحديد أسلوب إنشاء خطابه، والاستراتيجية الخطابية الملائمة والمناسبة لإنتاج خطابه الشعري، وتحقيق قصده[٢]، وأدى اختلاف الاستراتيجيات الخطابية إلى تنوع الآليات والأدوات التي يستعملها الشاعر، فكل منتج خطاب لا بد من أن يستعمل من الأدوات والوسائل ما يتناسب وسياق استعمالها[٣]. ويعد الحجاج إحدى الاستراتيجيات التواصلية التي يوظفها منشئ الخطاب بغية الإقناع والتأثير؛ لذا عرفه بيرلمان وتيتيكا بأنه: "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو تزيد في درجة هذا التسليم"[٤]. ويقصد بتقنيات الخطاب، كل ما يوظفه منشئ الخطاب من أساليب بلاغية وتراكيب لغوية، تعينه في توفير طاقة حجاجية للغة المسؤولة عن جعل العقول تذعن وتسلم لما يطرح عليها من الأقوال، أو زيادة درجة ذلك الإذعان[٥]. ومن الآليات الحجاجية التي يتوسل بها منشئ الخطاب لإقناع المتلقي؛ الروابط والعوامل الحجاجية، وتقوم الروابط الحجاجية بالربط "بين قولين أو حجتين أو أكثر. وتسند لكل قول دورًا جديدًا داخل الاستراتيجية الحجاجية، ويمكن التمثيل لها بالأدوات النحوية (بل، حتى، لاسيما، إذن، بما، أن، إذ"[٦] وغيرها من الأدوات المنوعة. أما والعوامل الحجاجية، فـ" تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما؛ أي ما يكون داخل القول الواحد من عناصر تدخل على الإسناد، وتضم مقولة العوامل من قبيل (ربما، تقريبا، كاد، فليلًا، ما، إلا، جل أدوات التقصير"[٧]؛ أي يمكن القول إن العوامل تتضمن أحكامًا في ذاتها، أي تختص بمحمول واحد، أما الروابط فهي أدوات تعمل على صناعة هذه الأحكام التي منها تتأسس البنى الحجاجية[٨]. وتوسلت الدراسة بالحجاج وآلياته (الروابط والعوامل) لتقديم قراءة تحليلية لعينية حاجب الفيل (لما رأت بنتي بأني مزمع) وقال فيها الشاعر[٩] :

لمَّـــا رأتْ بنتـــي بـــأنّي مُزمـــعٌ بترحُّـــلٍ مـــن أرضـــها فمـــودِّعِ

ورأت ركـــابي قرّبـــت لرحالهـــا قالـــت وغَـــرْبُ العـــين منهـــا يـــدمعِ

أبتـــا أتتركنـــا وتـــذهبَ تائهـــاً فـــي الأرض تخفضـــك الـــبلادُ وترفـــعِ

فيضـــيعُ صـــبيتك الّـــذين تـــركتهم بمضـــيمةٍ فـــي المصـــرِلـــم يترعرعُـــو

فـــيهم صـــغيرٌلـــيس ينفـــعُ نفســـه وصـــغيرةٌ تبكـــي وطفـــلٌ يرضـــعِ

إنَّـــا سنرضـــى مـــا أقمـــت بعيشـــنا مـــا كـــان مـــن شـــيءٍ نجـــوع ونشـــبعِ

واللهُ يرزقنـــا فنرضـــى رزقَـــه وكفـــى بحســـنِ معيشـــةٍ مـــن يقنـــعِ

إنَّـــا إذا مـــا غبـــتَ عنَّـــا لـــم نجـــد ممَّـــا تخلَّـــف عنـــدنا مـــا ينفـــعِ

تجفـــو مواليـنـــا ويعـــرضُ جارنـــا وقريبنـــا الأدنـــى يعـــزُّويقطـــعُ

ونخـــاف أن تلقـــاكَ وشْـــكُ منيّـــةٍ فيصـــيبنا الأمـــر الجليـــل المفظـــعُ

فنصـــير بعـــدك لـــيس يُرفـــع بيتُنـــا ويـــــذلُّنا أعـــــداؤنا ونُضـــــيَّعُ

هـــذا الرَّحيـــلُ وأمرنـــا مـــا قـــد تـــرى فمتـــى تـــؤوب إلـــى الصِّـــغاروترجِـــعُ

فخُنِقـــتُ مـــن قـــول الصِّـــغاربعبـــرةٍ . كـــادَ الفـــؤادُ لقـــولهم يتصـــدَّعُ

وأجبتُهـــا: صـــبرًا بنيَّـــةُ واعلمـــي أن لـــيس يعـــدو يومـــه مـــن يجـــزعُ

أهمية الدراسة :يعزى اختيار الدراسة لعينية حاجب الفيل (لما رأت بنتي بأني مزمع) إلى الأسباب التالية: أولًا: تهميش عينية حاجب عند القدماء والمحدثين؛ فلم يذكرها من القدماء إلا ابن عبد البر القرطبي في كتابه (بهجة المجالس)[١٠]. وأما المحدثون، فلم أجد أحدًا خصها بدراسة حجاجية مستقلة، واكتفوا بالاستشهاد ببعض أبياتها في سياقات مختلفة. ثانيًا: انمازت عينية حاجب الفيل بخصائص لم تتوافر في خطابات مشابهة لها، كخطاب الأعشى ومالك بن الريب مع ابنتيهما؛ فقد سيطر صوت البنت في خطاب حاجب الفيل على صوت الأب، وهو مما لم يُعرف في خطابات البنات مع آبائهم في تلك الفترة (العصر الجاهلي والأموي). ثالثًا: انتظم خطاب الشاعر وحدة موضوعية وشعورية، وبهذا ينماز خطاب حاجب الفيل عن خطابات الشعراء وبناتهم في الشعر القديم، حيث اعتاد الشعراء ذكر بناتهم في مقطوعات قصيرة، أو بيت أو بيتين من قصيدة طويلة، كما هو الأمر عند الأعشى، وسلامة بن جندل، ومالك بن الريب. رابعًا: حمل خطاب حاجب على لسان ابنته نقدًا للقبيلة التي خرقت العقد الاجتماعي بينها وبين شاعرها، وخرجت على قيمة اجتماعية لطالما تغنى بها الشعراء في مدح قبائلهم والفخر بها، وترى الباحثة أن هذا الأمر قد يكون سببًا لتهميش القدماء للقصيدة.واتخذت الباحثة من الحجاج والإقناع الذي يعد لب العملية الحجاجية[١١] استراتيجية لقراءة عينية حاجب الفيل؛ وذلك لظهور الحجاج فيها بشكل واضح؛ فهي تعرض بشكل غير مباشر لموضوع الرحيل، والرحيل من الخطابات التي تحتمل الاختلاف في الرأي، ومثل هذه الخطابات تنسجم والحجاج الذي ينمو ويزدهر في المجالات التي تحتمل الاختلاف في الرأي، وتستدعي أساليب الحوار والتناظر القائمة على الحجة والدليل؛ بغية دفع المتلقي إلى تغيير اعتقاداته، وتبني أفكار وسلوكيات وتصرفات منشودة[١٢]. وتعد قصيدة حاجب الفيل خطابًا في الشكوى والاستعطاف، وكلا الغرضين يتوسل صاحبهما بالحجاج للوصول إلى غايته وقصده.وأفادت الباحثة من الدراسات النظرية التي اختصت باستراتيجيات الخطاب والحجاج، لاسيما وأنها لم تجد دراسة تحليلية خاصة بالقصيدة.

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

1 - ما الشكل الأدبي الذي اتخذه الشاعر لخطابه الشعري؟

2 - ما السبب في اختيار الشاعر للحجاج؟

3 - ما هي الآليات والأدوات اللغوية التي توسل بها الشاعر لتحقيق غايته؟

انتظمت الدراسة في قسمين: قسم نظري، تناولت فيه الدراسة محطات من حياة الشاعر حاجب الفيل، ووقفت عند خطاب الشاعر في كتب التراث وسبب السكوت عنه، والشكوى والاستعطاف في القصيدة. وقسم تحليلي، تناولت الدراسة فيه مشهد الوداع، والبناء الفني لخطاب حاجب، ووقفت عند أهم التقنيات الحجاجية التي توسل بها الشاعر ليصل إلى غايته من الخطاب.

القسم الأول

1. **محطات من حياة الشاعر حاجب الفيل**

هو حاجب بن ذبيان المازني المعروف بحاجب الفيل، و"الفيل لقب لقّبه به ثابت قطنة وكعب الأشقري" [١٣]. لم يفرد له أحد من القدماء ترجمة خاصة كغيره من الشعراء، وجاءت أخباره في كتاب الأغاني عرضًا في ثنايا الحديث عن ثابت قطنة ومهاجاته له. واستطاع د. نوري القيسي حين جمع ما وصل إلينا من شعره، أن يجد ظلالًا لحياته من خلال استقراء شعره، وجمعه عام ١٩٨٦م[١٤]، وفي عام ١٩٨٩م أفرد له د. حسين عطوان في كتابه (الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي) ترجمة [١٥].

لم يذكر القدماء الذين ذكروا حاجب الفيل في تضاعيف كتبهم شيئًا عن مولد الشاعر حاجب الفيل، ولم يرد في شعره ما يمكننا من معرفة ذلك، ولكن ما يؤكده شعره الذي وصل إلينا، أنه أدرك خلافة عبد الملك بن مروان الذي شكا له الشاعر قحطًا نزل بقومه، ووفد على يزيد بن المهلب، والي سليمان بن عبد الملك على خراسان، وكان له فيه مدائح تكشف عن مكانة يزيد عند الشاعر، وخاطب مسلمة بن عبد الملك في قصيدة واحدة[١٦]. ولم يذكر القدماء -أيضا- شيئًا عن أسرة حاجب الفيل، واستدل القيسي وعطوان من قصيدته، موضوع الدراسة، أن لحاجب الفيل ابنة وصِبْية[١٧] .أما شعر حاجب الفيل، فقد جمعه د. نوري حمودي القيسي من بطون المصادر الأدبية والتاريخية، ورتبه على حروف المعجم، وقدم له بدراسة قيمة عن الشاعر وشعره تحت عنوان: (حاجب الفيل: حياته وما تبقى من شعره، وما تجمع له من شعر حاجب قليل لم يتجاوز الخمسة والسبعين بيتًا، أغلبها مقطوعات لم تتجاوز الأربعة أبيات إلى جانب ثلاث قصائد، أطولها القصيدة موضوع الدراسة التي جاءت بأربعة عشر بيتًا.

وتكشف قراءة ما وصل إلينا من شعر حاجب، أن الرجل كان معتزًا بقومه، فقد ختم إحدى قصائده في مديح يزيد بن المهلب قائلًا [١٨]:

فـــإني امـــرؤ مـــن عصـــبة مازنيـــة نمـــاني أب ضـــخم كـــريم المركـــب

وهذا الفخر بالانتماء للقوم ساد فيما وصل إلينا من شعر له، على قلته. ووقع بينه وبين ثابت قطنة مهاجاة، وكانت قصائده في مدح يزيد بن المهلب سببًا في إثارة الهجاء بينهما، ووصول شذرات متناثرة من حياته [١٩].

2. **خطاب حاجب الفيل في كتب التراث**

تردد شعر حاجب في كتب التراث، لاسيما شعره في مدح يزيد ومهاجاة ثابت قطنة، إلا أن قصيدته العينية لم تحظ بعناية القدماء، مثلها في ذلك مثل صاحبها [٢٠]. وانفرد ابن عبد البر القرطبي بذكر القصيدة في باب السفر والاغتراب من كتابه بهجة المجالس وأنس المجالس، وهو أحد كتب المختارات الأدبية التي حفظ فيها "مادة مشرقية فقدت مصادرها في المشرق نفسه" [٢١].

وقد تكون قصيدة حاجب واحدة من تلك المواد التي فقدت، فلم ترد في أيٍ من كتب المشارقة القدماء الذين عنوا بالشعر والشعراء، ووصلت إلينا كتبهم. وإن كنا نتفق مع كثير من الباحثين القدامى والمحدثين بأن شعرًا كثيرًا من شعرنا العربي القديم قد ضاع لظروف فرضتها طبيعة كل عصر، فإننا لا نستبعد أن شعرًا آخر تعمد الرواة السكوت عنه، وعدم نقله لأسباب عدة، قد ترتبط بالقائل نفسه أو بالمقول.

ولعل عينية حاجب واحدة من تلك الخطابات التي قصد إلى تهميشها والسكوت عنها؛ فالعينية خطاب شكوى وجهته ابنة الشاعر إلى أبيها آملة أن تؤثر فيه، وتقنعه بالقعود عن السفر؛ إذ يظهر من خطاب الشاعر أنه أزمع الرحيل وترك أبنائه الصغار، فلما علمت ابنته بالأمر فزعت لقرار أبيها، ولما ستلقاه وإخوتها بغيابه من معاناة وانكسارات، سببها تخلي القبيلة والأقارب عنهم في حضرة غياب الأب، الذي يظهر من حوار الابنة معه أنه كان يظن بقومه غير ما جاء في خطاب الابنة.وتوسلت الابنة لمنع أبيها من الرحيل، وإقناعه بالقعود إلى حجج عدة، ركزت فيها على خرق القبيلة للعقد الاجتماعي الفني الذي يربط بين القبيلة والشاعر؛ "فالأصل الذي تقوم عليه صلة الشاعر بقبيلته إنما هو الولاء والنصرة والرعاية تلبية لداعي العصبية الذي يربطه بها" [٢٢]؛ فلم تحفظ القبيلة أبناء الشاعر، في حين أن الأب وفّى بالتزامه تجاه قبيلته؛ فسخر شعره لمصلحتها، وكان سفيرًا لها ينقل شكايتها لأولي الأمر. وبهذا لم يعد خطاب الابنة مجرد شكوى، وحجاج تحاول به أن تستميل أباها للقعود وترك الرحيل، بل أصبح نقدًا اجتماعيًا لسياسة القبيلة مع أفرادها في غياب الأب. وقد يكون هذا النقد الذي يمس سمعة القبيلة، ويزلزل مكانتها، ويعري جانبًا من حقيقة المجتمع القبلي المتعصب لقيمه ظاهرًا، سببًا في إنكار الرواة لخطاب الشاعر، وعدم الاهتمام بروايته. والشاعر وقبله الرواة لم يجرؤ على النيل من قبيلته وهجائها صراحة؛ لأن هذه الخصلة الذميمة عصرئذ كانت من أوجع ما يرمى به الشاعر، ولم يكن يسوغها جور العشيرة على شاعرها وإساءتها إليه[٢٣]. وهذا ما حمل حاجب، رغم اعترافه بتأثره بما قالت الابنة في نهاية خطابه حين قال: فخنقت من قول الصغار بعبرة، ألا يجيبها لسؤلها، ويؤثر الرحيل على القعود.

3. الشكوى والاستعطاف في خطاب حاجب الفيل

يعد خطاب الابنة في قصيدة حاجب الفيل خطابًا في الشكوى؛ إذ قصدت الابنة إلى إظهار توجعها من فراق الأب ورحيله، وخوفها من الظلم، وما ستتعرض له من معاناة وانكسارات، ستكدر عليها صفو حياتها، وتشعرها بالهم وشدة اليأس؛ وذلك بسبب وجود خلل في مجتمعها القبلي، تمثل بخرق هذا المجتمع للعقد الاجتماعي الذي يربط بينه وبين أفراده، قالت الابنة تخاطب أباها:

إنَّــا إذا مــا غبــتَ عنَّــا لــم نجــد	ممَّــا تخلَّــف عنــدنا مــا ينفــعُ
تجفــو موالينــا ويعــرضُ جارنــا	وقريبنــا الأدنــى يعــزُّويقطــعُ
ونخــاف أن تلقــاكَ وشْــكُ منيّــةٍ	فيصــيبنا الأمــر الجليــل المفظــعُ
فنصــيربعــدك لــيس يُرفــع بيتُنــا	ويــــذلُّنا أعــــداؤنا ونُضــــيَّعُ

وهي بشكواها هذه تعلن رفضها للواقع السيئ الذي ستعيشه برحيل الأب[٢٤]. ولم تكتف ابنة الشاعر بتصوير معاناتها، ولم تقف عند حد الشكوى، بل توجهت إلى أبيها تستعطفه بقصد استمالة قلبه، آملة بأن يتراجع عن قراره، ويخلصها من ضروب الإعنات والحرمان التي ستعانيه بغيابه[٢٥]. وهذا ما حمل الابنة على استعمال الحجاج، وتوظيف آليات حجاجية إقناعية لاستدرار عطف أبيها، واستثارة عقله للقعود وترك الرحيل. ويمكن أن نعد خطاب الابنة نقدًا مضمرًا مفصلًا لمجتمعها الذي خرج عن السائد المألوف المتفق عليه من القيم، وهذا أمر انماز به خطاب حاجب الفيل في تلك الفترة؛ فالأعشى الذي أنشأ خطابًا على لسان ابنته، لم يفصل في نقد الابنة وشكواها من مجتمعها واكتفى قائلًا على لسانها[٢٦]:

أَرانـــا إذا أَضـــمَرتكَ الـــبِلا دُ نُجفـــى وَتُقطَـــعُ مِنّـــا الـــرَحِم

أما ابنة حاجب فقد فصلت في الأمر، وكان عليها لتقنع أباها بصدق ما جاءت به أن توظف الحجج والأدلة لتحقق غايتها.

القسم الثاني: تحليل خطاب حاجب الفيل مشهد الوداع

استغرق مشهد الوداع خطاب حاجب كاملًا، وهذا أمر لم يرد في الخطابات الشعرية السابقة على خطاب الشاعر. ويعد مشهد الوداع من أهم المشاهد وأكثرها ارتباطًا بموضوع الرحيل، وهو "الصورة المنظورة المحضورة والصورة النفسية للحظة التي يودع فيها المرء المكان الذي ارتبط به وأهله وأصحابه" [٢٧]. ورغم ارتباط الشعراء العرب القدامى بالرحيل، إلا أن مشهد الوداع لم يحتل حيزًا كبيرًا في خطاباتهم، فكان يأتي في الأغلب عرضًا، وفي أبيات محددة؛ ولعل ذلك عائد إلى حضوره المضطرب في القصيدة "الذي لم يكن يحكمه أمر يمكن البناء عليه، سوى استذكار الشاعر لما يودعه، فكان يتسلل إما إلى ناصية القصيدة كما عند الأعشى، وإما بين الأغراض السابقة أو عقب رحلة الظعائن أو في أثنائها" [٢٨]. وانماز الوداع في العصر الأموي عن الوداع في العصر الجاهلي، بإطلالة العاطفة الأسرية التي أصبحت بادرة جديدة في العصر الأموي[٢٩]، وظل الوداع، كما هو الأمر حتى وقتنا هذا، مرتبطًا بذرف الدموع وشدة الحزن والألم، والدعاء للمسافر بالسلامة، وتحقيق غايته من السفر؛ فقد كانت العرب تضع الوداع موضع التحية والسلام؛ لأن المسافر إذا خلف ذويه دعا لهم بالسلامة والبقاء ودعوا له بمثل ذلك[٣٠].

جاء مشهد الوداع عند حاجب في أربعة عشر بيتًا، يمكن تقسيمه وفقًا لبنائه الفني إلى: الاستهلال، والمتن، والانتهاء. ويمكن تقسمته وفقًا لمنشئ الخطاب إلى: خطاب الأب، ويضم الاستهلال والانتهاء، وتقصد به الدراسة الجزء الذي ظهر فيه صوت الشاعر، وخطاب الابنة، ويشمل المتن، وهو الجزء الذي ساد فيه صوت الابنة الذي نقل عن طريق الشاعر الأب (قالت بنتي).

البناء الفني لخطاب حاجب الفيل

أولًا: مشهد الوداع

استغرق مشهد الوداع خطاب حاجب الفيل كاملًا، وهو من المشاهد السريعة التي تسودها حالة انفعالية نفسية لا تسمح لمنشئ الخطاب أن يقف؛ ليتأمل ويتأنى ويضع مقدمات للولوج إلى موضوعه. وفي مشهد الوداع يصف حاجب واقعًا مريرًا لأسرته الصغيرة، ستعيشه عند رحيله عنها، ومثل هذه الموضوعات الواقعية يلائمها بناء شعريًا بسيطًا مباشرًا يستجيب لعنصر الواقع لا الفن.

ثانيًا: الحوار في مشهد الوداع يعد الحوار نوعًا "من التفاعل اللفظي"[٣١]، الذي يقوم على إظهار أصوات الأشخاص المختلفين، ويسمح لهذه الأصوات التنفيس عن ذواتها وآرائها بشأن القضايا الثقافية والسياسية والأدبية[٣٢] وهذا ما جعل الحوار ملائمًا لخطاب حاجب الحجاجي الذي يطرح قضية جدلية في كل الأزمنة، تستوجب تحاورًا يُشغل فيه كل طرف بإقناع الطرف الآخر بوجهة نظره؛ من أجل حمله على الإذعان، وقد يكون ذلك في أحيان كثيرة، دون اقتناع حقيقي[٣٣]. أعلا الشاعر في الحوار من صوت الابنة، وجعله سائدًا على صوته؛ فقد استغرق الخطاب على لسان الابنة عشرة أبيات، في حين ظهر صوت الشاعر في أربعة أبيات، فأصبح صوتها مهيمنًا فنيًا، وهذا خلاف ما جاء عند شعراء آخرين، سبقوه زمنيًا؛ كالأعشى، ومالك بن الريب اللذين حين دار بينهما وبين ابنتيهما حوار حول جدوى السفر، لم يسمح كل منهما لابنته إلا بمساحة صغيرة من الحوار لم تتجاوز الأربعة أبيات، فقال الأعشى على لسان ابنته[٣٤] :

تَقــولُ اِبنَتـي حــينَ جَــدَّ الرَحيــلُ أَرانـــا سَـــواءً وَمَـــن قَـــد يَـــتِم

أَبانـــا فَـــلا رِمـــتَ مِـــن عِنـــدِنا فَإِنّـــا بِخَيـــرٍ إِذا لَـــم تَـــرِم

وَيـــا أَبَتـــا لا تَـــزَل عِنـــدَنا فَإِنّـــا نَخـــافُ بِـــأَن تُختَـــرَم

أَرانـــا إِذا أَضـــمَرَتكَ الـــبِلا دُ نُجفـــى وَتُقطَـــعُ مِنّـــا الـــرَحِم

وأما مالك بن الريب؛ فقد رثى نفسه متحسرًا على عصيانه ابنته التي تشبثت به وتركها، وأنشأ خطابًا على لسانها، جاء فيه[٣٥]:

تَقـولُ اِبنَتي لَمّـا رَأَت وَشـكَ رحلَتي سـفارُكَ هَـذا تـارِكي لا أَبالِيـا

لَعَمـرِي لَـئِن غالَـت خُراسـانُ هـامَتي لَقَـد كُنتُ عَـن بـابَي خُراسـانَ نائِيـا

فَـإِن أَنـجُ مِـن بـابَي خُراسـانَ لا أَعُـد إِلَيهـا وَإِن مَنَّيتُمـوني الأَمانِيـا

أعطى حاجب ابنته مساحة كلامية للتنفيس عما بداخلها، والاسترسال بالكلام عن انكساراتها وأوجاعها، فشكت فقرًا سيطوقها وإخوتها، وأمانًا ستفتقده بغياب الأب، وخذلانًا ستلقاه من مجتمع حرص أبوها على الانتماء إليه دائمًا، لكنه لم يقم بواجبه تجاه الشاعر وأبنائه في غيابه. ومكنتها هذه المساحة من طرح حجج وأدلة عديدة، سعت بها إلى التأثير في الشاعر، وحمله على الإذعان، ولعل هذا النهج هو ما حقق لابنة حاجب غايتها؛ فأثرت في والدها عاطفيًا، لكنها لم تنجح بحمله على تنفيذ ما أرادت، والقعود عن الرحيل.وبهذا، يخرج حاجب عن الآخرين، وينماز نصه عن نصي الأعشى ومالك؛ فهو غير معنيٍ بذاته والتغني بمفاخره، كما فعل الأعشى ومالك اللذان جعلا من خطابيهما ساحة للفخر، وإنما هو معني بالقبيلة وخروجها عن العرف السائد، ومعني بابنته، حريص على الاستماع لها، والسماح لها بالتعبير عن مشاعرها؛ ففعّل حضورها وأعلى من صوتها حتى استغرقت جل الخطاب، وسمح لها بأن تعرض حججها، وهمش صوته، ولم يعطه مساحة واسعة في الحوار، وهذا

على خلاف ما حفظ لنا التراث من خطابات تتعلق بالبنت سواء مخاطِبة أو مخاطَبة في تلك الفترة أو قبلها، إلا حالات استثنائية استطاعت أن تثبت وجودها في مجتمع كان يضع من قيمة المرأة.

ثالثًا: الوحدة االفنية

انتظم خطاب حاجب الفيل وحدة فنية وعاطفية من خلال هيمنة إحساس واحد، ولحظة شعورية واحدة، ورؤية نفسية محددة، جسدها الشاعر من خلال الصور الشعرية [٣٦]. فقد ساد الخطاب وحدة الإحساس بالحزن والقلق والخوف من الفراق والمستقبل القادم، من الاستهلال حتى الانتهاء. ففي الاستهلال رسم الشاعر مشهدًا عاطفيًا اتكأ فيه على الصورة الفنية حين قال: (وغرب العين منها يدمع)؛ فالابنة لشدة خوفها سالت دموعها ولم تنقطع؛ مما يدل على استمرارية شعور الحزن، وأكد هذه الاستمرارية توظيف الفعل الحاضر (يدمع)، مما يشير إلى سيطرة إحساس الحزن والخوف. وفي خطاب الابنة الذي شكل جل القصيدة، سادت مشاعر القلق والخوف والحزن والذعر لفراق الأب، وعبرت الابنة عن هذه المشاعر بصورة غير مباشرة من خلال الصور الفنية العديدة التي رسمتها لإخوتها الصغار، والتي تدل على عجزهم وضعفهم، وهذا مما يزيد من حالة الخوف والقلق. وختم الشاعر القصيدة بإحساس القهر (وخنقت من قول الصغار)، الذي يدل على العجز أيضا، وهذا العجز أوجد الحزن. وبذا، فقد ساد في القصيدة جو الحزن والقلق والخوف من الفراق، لما سيترتب عليه من نتائج سلبية على الأطراف جميعا (الأب، والبنت، والصغار).

رابعًا: الاستهلال

يعرف الاستهلال بأنه "الابتداء. والاستهلال أن يبتدئ الشاعر أو الكاتب بما يدل على الغرض ... ليثير السامع، ويحرك في نفسه كثيرًا من الكوامن"[٣٧]. واستهل حاجب خطابه ببيتين هجم بهما قائلًا:

لمَّـــا رأتْ بنتـــي بـــأنّي مُزمـــعٌ بترحُّـــلٍ مـــن أرضـــها فمـــودّعُ

ورأت ركـــابي قرّبـــت لرحالهـــا قالـــت وغَـــرْبُ العـــين منهـــا يـــدمعُ

ابتدأ حاجب استهلاله بـ لماالظرفية الحينية الرابطة[٣٨] ؛ لتحديد زمن حدوث فعل الكلام وتوقيته، وربط واقع بواقع؛ فحين علمت البنت بقرار أبيها وإصراره على الرحيل، وأدركت أن الرحيل واقع لا محالة حين رأت راحلة أبيها جاهزة للرحيل؛ ثار خوفها، وهاجت عاطفتها، وسال دمع عينيها دون توقف، وبدأت بحوار أبيها. وفي الاستهلال ساد الصمت بين المودعَين؛ فلم يشيع أحدهما الآخر بالسلامة كما كانت تفعل العرب، ولعل ذلك عائد إلى انشغال كل منهما بما رآه، وعده أكثر أهمية؛ فالبنت أُخذت باستعداد أبيها للرحيل، إذ أدركت أنه راحل لا محالة. والأب بهت ببكاء ابنته، ودمعها الذي لم يتوقف خوفًا وقهرًا. ولم يُعن الشاعر بالسسلام على ابنته؛ لأنه كان حريصًا على أن يؤكد لابنته إصراره على قرار الرحيل، تمهيدًا لصدها عن محاولة منعه من الرحيل، والابنة شغلت بالتفكير بانكساراتها ومعاناتها، والقادم المرعب، ولم تر في الرحيل سلامة؛ لا لوالدها ولا لها ولإخوتها؛ فالرحيل تيه لأبيها (أتتركنا وتذهب تائهًا)، وهو لها ولإخوتها ضياع (فيضيع صبيتك الذين تركتهم). ويبدو أن الشاعر كان يدرك أن لا سلامة في رحيله؛ لذا صمت وابنته تحاوره، ولم يتكلم إلا في الختام. يطرح خطاب حاجب موضوعة الرحيل، وهي من الموضوعات الجدلية التي انقسم بها الناس إلى فريقين: أحدهما راغب في الرحيل، مادح له، والآخر راغب عن الرحيل، ذام

له. ويظهر من الاستهلال أن حاجب الفيل قد اتخذ قرار الرحيل، وهو مصر عليه، ويبدو أن ابنته لم تأخذ الأمر بجدة، فلما رأت الأمر قد أصبح واقعًا، ورأت تجهيزات أبيها للسفر، لم تملك إلا البكاء بداية، وسيلة لإعلان رفضها، ووسيلة – أيضا- للتأثير في أبيها وحمله على القعود. وكان الشاعر يعلم برأي ابنته بأمر رحيله، ويبدو أنه خشي، كما هو حال ابنتي الأعشى ومالك، أن تحاول منعه من الرحيل، فأراد أن يوقفها عن ذلك، لاسيما وأنه خارج بحثًا عن الرزق لأبنائه وللقبيلة التي آثرها على أبنائه، فما كان أمامه إلا أن يقطع على الابنة كل ما يتوقع أن تفعله لمنعه من الرحيل، فأنشأ خطابه ليؤكد لابنته رحيله، وليجعلها تقنع بهذا الرحيل. وليقنع حاجب الفيل ابنته بقراره، توسل بوسائل عدة لإيصال فكرته إلى ابنته، ومن هذه الوسائل:

أولًا: التوكيد في خبر الرحيل :يُعرف الخبر بأنه كلام يحتمل الصدق والكذب، والمراد بصدق الخبر مطابقته للواقع، وبكذبه عدم مطابقته للواقع[٣٩]، وفي استهلال مشهد الوداع أخبر حاجب الفيل ابنته بإصراره على قرار الرحيل فقال:

لمَّـــا رأتْ بنتـــي بـــأنّي مُزمـــعٌ بترحُّـــلٍ مـــن أرضـــها فمـــودِّعُ

ورأت كلمة تقولها العرب عند الاستخبار بمعنى أخبرني[٤٠]. فالشاعر أخبر ابنته بقرار رحيله. ويبدو أن الابنة لم تصدق الأمر بداية؛ لذا عمد الشاعر إلى تأكيد الأمر من خلال الإخبار باستخدام أداة التوكيد (أنّ) في قوله: بأني مزمع ...ليثبت الخبر في نفس الابنة، ويزيل ما قد يعلق في نفسها من شكوك تتعلق بعدم جدية أبيها بالأمر، وفي توظيف التوكيد يثبت الشاعر قرار الرحيل في ذهن ابنته، فلا يبقى لها سبيل لمحاججته ومحاولة إقناعه بالقعود.

ثانيًا: اسم الفاعل

وظف الشاعر اسم الفاعل (مزمع ومودع) لتأكيد خبر رحيله؛ لدلالة اسم الفاعل على المعنى الدائم[٤١] الثابت الذي لا شك فيه. ولم يرد الشاعر بتوظيفه اسم الفاعل مجرد الوصف، وإنما أراد أن يظهر لابنته بهذا التوظيف إصراره وثباته على الرحيل؛ فاستعمل لفظة (مزمع) لما تحمله اللفظة في أطوائها من دلالة على العزم والثبات على الأمر، فقد جاء في لسان العرب: أزمع الأمر وبه وعليه، مضى فيه، فهو مزمع، وثبت عليه عزمه. وفي لفظة (مزمع) دلالة لا تتوافر في غيرها من الألفاظ التي تنتمي للحقل الدلالي نفسه؛ فالرجل الزميع أي السريع[٤٢]، وبهذا تعد (مزمع) اللفظة الأدق في تحقيق غاية الشاعر؛ فرحيله ليس قرارًا مؤكدًا لا يمكن التراجع عنه فقط، بل هو قرار يجب المضي به سريعًا؛ وهذا ما جعله يأتي بالرابط الحجاجي الفاءالدال على التعقيب والترتيب دون تراخٍ، حين قال: فمودع؛ ليؤكد أهمية عامل الزمن، وضرورة الإسراع في التنفيذ، ليصل إلى غايته في إقناع الابنة بضرورة رحيله، وعدم جدوى محاولة منعه. وفي توظيف الشاعر لهذه اللفظة يدفع ما يكون قد استقر في ذهن ابنته من عدم صواب قراره؛ فقد جاء في اللغة: رجل زميع الرأي أي جيده[٤٣]، وبهذا يتخذ الشاعر من (مزمع) بدلالتها حجة يرد بها على استنكار ابنته قرار الرحيل وتعجبها ورفضها له حين قالت:

أبتـــا أتتركنـــا وتـــذهبَ تائهـــاً في الأرض تخفضـــك الـــبلادُ وترفـــعُ

وأردف الشاعر بعد لفظة (مزمع) باسم الفاعل (فمودع) للدلالة على ثبات خبر الوداع الذي يفضي إلى تأكيد خبر الرحيل. وفي توظيف الرابط الحجاجي الفاءالذي يقوم من الناحية الحجاجية بالوصل بين مختلف الحجج[٤٤] ، ربط الشاعر بين الحجة الأولى (مزمع) و الحجة الثانية (مودع)، ورتبها ترتيبًا خطيًا ساعد في أن تقوي كل منها الأخرى، وأدت الفاءالتي تفيد التعقيب

والترتيب إلى جعل رتبة الحجة الثانية قريبة من رتبة الحجة الأولى غير متراخية عنها كثيرًا؛ فسرعة الوداع والرحيل كانت ارتبطت بإصرار الشاعر على الرحيل؛ أي أن إصراره الذي دل على أهمية الرحيل، هو ما دفعه إلى الإسراع في الوداع والفراق.

ثالثًا: الصيغة الصرفية تفعل

وظف الشاعر صيغة (تفعل)، فقال:

لمَّـــا رأتْ بنتـــي بـــأنِّي مُزمـــعٌ بترحُّـــلٍ مـــن أرضـــها فمـــودِّعُ

أورد العلماء لصيغة (تفعل) العديد من المعاني، منها التكلف، وجاء في لسان العرب تكلف تعني: تجشم الشيء على مشقة[٤٥]، ولما كان حاجب يسعى لإقناع ابنته بضرورة رحيله، وأراد أن يبين لها مكانتها عنده؛ وظف لفظة (ترحل) التي جاءت على وزن (تفعل)؛ ليلفت انتباه الابنة لما سيلاقيه من مشقة وتكلف في الرحيل، ولولا مكانة الابنة عنده ما ارتحل وتركها. وهو بذلك يحاول أن يقنع الابنة بضرورة الرحيل لرفع الضرر عنها، وهو في الوقت نفسه يوجه رسالة غير مباشرة لقبيلته، يعلن فيها تخليه عن مصلحته الذاتية من أجل مصلحة النحن، وعلى القبيلة أن تقدر ذلك، وتلتزم بالعقد الاجتماعي بينهما؛ فترعى أبناءه، ولكن الشاعر لا يستطيع التصريح بذلك حتى لا يخرق العقد الاجتماعي مع قبيلته. وإذا كان الرحيل بشكل عام يرتبط بالمشقة الجسدية والنفسية، فالشاعر حين ربط الترحل بلفظة (أرضها) أضفى على المشقة العامة المشتركة عند الجميع مشقة خاصة ارتبطت بما سيعانيه من أوجاع ومعاناة بترك أرض الابنة التي اتخذها كناية عن الأسرة والأبناء.وليست الغاية بالترك هنا الإشارة إلى المكان (أرضها)، وإنما الغاية الإشارة إلى المقيم بالمكان وهي الابنة، وخص الابنة لضعفها. وإذا كانت الابنة ترى أن حضور أبيها أهم من غيابه، وإن كانت ضاقت بهم الحال، فإن الشاعر يرى الأمر من زاوية أخرى؛ فهو يرى أن غيابه من أجل الابنة وتأمين حياتها أهم من حضوره، كما يظهر من قراءة الخطاب كاملًا.

رابعًا: الرؤية البصرية أو السلوكية

وتمثلت بقول الشاعر في الاستهلال:

ورأت ركـــابي قرِّبـــت لرحالهـــا قالـــت وغَـــرْبُ العـــين منهـــا يـــدمعُ

وفي هذه الرؤية يؤكد الشاعر خبر الرحيل بالحس، وتصبح الرؤية البصرية حجة مشهدية تصويرية واقعية، ركز فيها حاجب على أهم عناصر مشهد الرحيل، وهي الركاب التي توسل بتوظيفها إقناع الابنة بقراره؛ فالركاب هي الإبل التي تُخرج ليجاء عليها بالطعام[٤٦]، واستخدامها يشير إلى هدف الرحلة وغايتها؛ فجلب الرزق هو قصده، ومما يؤكد هذا الأمر، قول الابنة:

واللهُ يرزقنـــا فنرضـــى رزقَـــه وكفـى بحســنِ معيشــةٍ مــن يقنــعُ

فخطاب الابنة يظهر أن خلافًا قام بينها وبين أبيها حول جدوى الرحيل من أجل الرزق.

ورغم إصرار الشاعر على الرحيل، إلا أنه لم يشأ أن يرحل عن ابنته دون أن يترك لها شحنة عاطفية تقنعها بمكانتها عنده؛ فالتفاته إلى حالتها النفسية، وتوقفه للاستماع لخطابها، رغم ما أبداه للابنة من ضرورة الإسراع في الرحيل، دليل على الاهتمام بشأنها، وهذا ما لم يفعله من سبقه من الشعراء. وأظهر الشاعر هذا الاهتمام بتوظيفه للجملة المعترضة (وغرب العين منها

يدمع)، وتحميلها وظيفة دلالية يبين من خلالها الحال التي كانت عليها الابنة حين خاطبها، ويبعث من خلالها رسالة اجتماعية للابنة والقبيلة؛ إذ تعد الجملة المعترضة وسيلة استعملها اللغويون لإبلاغ رسالة [٤٧].

الحجاج في خطاب الابنة حرص الشاعر في بداية خطابه على أن يبين للابنة إصراره على قرار الرحيل، وأن يشعرها بأهمية رحيله، ولم تستطع الابنة الصمت أمام إصرار أبيها وحججه؛ لذا ارتأت أن تقارعه الحجة بالحجة، وتدحض كل حجة قدمها بحجة أخرى تدعم غايتها من خلال:

أولًا: التراكيب اللغوية التالية

النداء :سعت الابنة من بداية خطابها إلى وضع استراتيجية تعينها بتحقيق غايتها، فابتدأت خطابها بالنداء والاستفهام، قائلة:

أبتـــا أتتركنـــا وتـــذهبَ تائهـــاً في الأرض تخفضـــك الـــبلادُ وترفـــعُ

يؤدي النداء "أبتا" في فاتحة حوار البنت مع والدها وظيفة أسلوبية تنبيهية، تبرز صوت البنت الخائف القلق اللائم لوالدها، والتائق بنبرة الضعف إلى إثارة الشفقة لتقنع والدها بالقعود. وساهم حذف أداة النداء بجعل النداء أكثر حجاجية؛ فقد أشار الحذف إلى الصلة القريبة بين المنادي والمنادي[٤٨]، واتخذت الابنة من هذه الصلة حجة لإنشاء خطاب تواجه به أباها بعواقب رحيله، ولما كان النداء "طرقًا من الأمر"[٤٩]، فحين تقول الابنة (يا أبتا أتتركنا) فمعناه يا أبتا لا تتركنا، وحذفت الياء (أبتي) ليزول معنى الأمر وينقص؛ تأدبًا مع أبيها واستمالة له. ولتعبر الابنة عن انكساراتها وما سيلحق بها من ضرر ألحقت المنادى (أب) بالمد المتأتي من التاء والألف لتعبر عن وجعها وألمها عند غياب الأب الذي يمثل الأمن والسكينة والكرامة، وتلجأ الابنة باختيارها النداء بصيغة (أبتا) إلى إخراج النداء من دلالته المألوفة، لفت الانتباه إلى الندب والاستغاثة؛ فالابنة تبحث عمن يخلصها من انكساراتها المستقبلية، وفي الانحياز عن النداء المألوف (يا أب) إلى النداء الحاضر في النص (يا أبتا) أحدثت الابنة زيادة في المبنى ترتب عليها زيادة في المعنى؛ وهي زيادة عاطفية مضاعفة تتناسب مع إحساس الابنة بألم الغياب والحاجة إلى الأب[٥٠].

الاستفهام

للاستفهام دور كبير في العملية الحجاجية، فهو لا يتوقف عند طلب المعرفة حول شيء معين؛ بل يعمل على "جلب القارئ أو المستمع في عملية الاستدلال بحيث أنه يشركه بحكم قوة الاستفهام وخصائصه"[٥١]. وأحدثت ابنة حاجب في خطابها انزياحًا في وظيفة الاستفهام؛ فأخرجته عن طبيعته الإخبارية إلى معنى آخر اقتضته طبيعة السياق الذي ورد فيه، والغرض المقصود.تدرك ابنة حاجب أن مواجهة أبيها مباشرة بخطأ قراره، كما تظن، قد يؤثر على نجاح قصديتها من الخطاب؛ لذا لجأت إلى المواربة وعدم التصريح بطلب عدم الرحيل، فافتتحت خطابها بالاستفهام قائلة: أتتركنا وتذهب تائهًا، وختمته به أيضا، فقالت: (متى تؤوب إلى الصغار وترجع). لم يُعن الأب بتقديم تبريرات لابنته عن سبب رحيله، ويبدو أن الابنة أدركت ذلك الأمر؛ لذا لم تنتظر جوابًا على سؤالها في افتتاح خطابها، وخرجت بالسؤال إلى معنى مجازي أنكرت به على أبيها قراره الذي لم يكن ينبغي له أن يتخذه، وعاتبته عليه بهدف استمالته.

ثانيًا: الحجاج بالعواطف

ويقصد بها تهيئة المتلقي واستدراجه من خلال معرفة ما يؤثر في نوازعه وانفعلاته[٥٢]؛ من أجل التأثير عليه، وحمله على الإذعان وتحقيق ما يسعى إليه منشئ الخطاب. ولجأت ابنة حاجب إلى الحجاج بالعواطف؛ لاستثارة عاطفة الشفقة عند أبيها، وتحريك مشاعره. ويقوم نظام الحجاج بالعواطف في قصيدة حاجب على إثبات العاطفة من خلال ما يلي:

ألفاظ العاطفة

تجلت ألفاظ العاطفة المباشرة بالفعل يدمع، الذي استخدمه الشاعر حين وصف حال ابنته عند رحيله قائلًا: قالت وغرب العين منها يدمع، كما تجلت بالفعل تبكي في قولها مخاطبة أباها:

فيضيعُ صبيتك الّذين تركتهم بمضيمةٍ في المصرِلم يترعرعُوا

فيهم صغيرٌليس ينفعُ نفسه وصغيرةٌ تبكي وطفلٌ يرضعُ

ويرتبط الفعلان ارتباطًا وثيقًا بالحجاج بالعاطفة، فهما يؤثران في الأب الشاعر المتلقي؛ فمن خلال الدمع والبكاء كشفت الابنة بالمشاهد عن غير المشاهد لأبيها؛ فكشفت عن مشاعر الخوف، وعبرت عن موقفها الرافض للرحيل، مثلها في ذلك مثل كثير من المودعين الذين يعجزون عن التعبير عن مشاعرهم باللسان لحظة الوداع[٥٣]، كما استطاعت أن تصور ضعف ابنة الشاعر الصغيرة وحاجتها إلى أبيهاصغيرة تبكي، كل ذلك بغية إقناعه بقيمة حضوره بينهم، وحمله على القعود عن الرحيل. ويبدو أن الابنة استطاعت من خلال ألفاظ العاطفة هذه يدمع و تبكي، وغيرها من التقنيات الحجاجية أن تستميل عاطفة أبيها؛ فقد صرح بذلك في الانتهاء قائلًا:

فخُنِقتُ من قول الصِّغاربعبرةٍ . كادَ الفؤادُ لقولهم يتصدَّعُ

وظف الشاعر لفظة عبرة، وهي من ألفاظ العاطفة، وتنتمي للحقل الدلالي للفعلين يدمع وتبكي؛ للتعبير عن تأثره بما قالت، واقتناعه عاطفيًا به. وكشفت لفظة عبرةضعف الشاعر وعجزه عن مواجهة مجتمعه، والخروج على قيمه الاجتماعية.

جاء في لسان العرب: أن العبرة: الدمعة قبل أن تفيض، وقيل هي تردد البكاء في الصدر، وقيل هي الحزن بغير بكاء[٥٤]، وكل تلك المعاني تتفق على أن الشاعر لم يستطع أن يفيض بالدمع كما فعلت الابنة وغرب العين منها يدمع أي يسيل دون انقطاع؛ فنزول الدمع لا يتلاءم مع ما عرف به الرجل العربي من غلظة، فقال الشاعر [٥٥]:

يُبكى علينا ولا نبكي على أحد لنحن أغلظ أكبادًا من الإبل

ولم يشأ الشاعر أن يخرق هذا الاعتقاد، وفي الوقت نفسه أراد أن يرد على ابنته الحجة بالحجة؛ ليثير شفقتها عليه، ويشعرها بمعاناته؛ فهو معها عاطفيًا، لكنه لا يستطيع أن يستجيب لهذه العاطفة أمام انتمائه لقبيلته الذي أوجب عليه أن يقدم القبيلة على الأبناء.وظفت الابنة ألفاظًا أخرى ذات حكم عاطفي؛ أي ذات وقع شعوري ووجداني على المتلقي، يثير فيه شعور الشفقة، تمهيدًا لحمله على فعل عمل ما[٥٦]، قالت الابنة في بداية خطابها:

فيضيعُ صبيتك الّذين تركتهم بمضيمةٍ في المصرِلم يترعرعُوا

فـيهم صـغيرٌلـيس ينفـعُ نفسـه وصـغيرةٌ تبكـي وطفـلٌ يرضـعُ

وقالت في نهاية خطابها:

هـذا الرَّحيـلُ وأمرنـا مـا قـد تـرى فمتـى تـؤوب إلـى الصِّـغاروترجِـعُ

واستخدم الشاعر، في رده على ابنته، اللفظة نفسها الصغار، فقال:

فخُنِقـتُ مـن قـول الصِّـغاربعبـرةٍ . كـادَ الفـؤادُ لقـولهم يتصـدَّعُ

فابنة الشاعر وظفت الصفات (صبية، صغير، صغيرة، طفل، الصغار)؛ لتثير شعور الشفقة في قلب أبيها؛ لما للصفة من دور حجاجي في الخطاب؛ فهي "تعد من الأدوات التي تمثل حجة للمرسل في خطابه، وذلك بإطلاقه لنعت معين في سبيل إقناع المرسل إليه"[٥٧]. ويلحظ أن الابنة كررت ألفاظًا من عائلة اشتقاقية واحدة صغير، صغيرة، الصغار، وهي طريقة حجاجية في عرض الخطاب؛ لإبراز شدة حضور الفكرة المراد إيصالها، والتأثير بها. فالتعبير بالصفات السابقة في سياق الحديث عن حالة الأبناء، أضفى بعدًا حجاجيًا مقنعًا لإقناع المتلقي الأب بغاية الابنة، وذلك بالتنبيه إلى حالة الضعف والعجز التي يعيشها الأبناء، والتي لا بد أن تقنع الأب بأن الرحيل غير مناسب مع هذه الحالة، وفي هذا محاجة للأب المصر على الرحيل، ومحاولة لتحقيق كمال الإقناع له بالقعود وترك الرحيل . ووظفت الابنة الفعل المضارع في تصوير حال الأبناء حين قالت: يضيع صبيتك، لم يترعرعوا، ليس ينفع نفسه، صغيرة تبكي، طفل يرضع؛ "وذلك لأن المضارع يوضح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يسمعها ويشاهدها"[٥٨]. وأرادت الابنة أن يعيش أبوها ما ستلقاه وإخوتها؛ ليشعر بمعاناتهم، كما أرادت أن تكشف عن الحاجة الدائمة والمتجددة للوالد، لعل هذا الأمر يحرك عاطفته، ويجعله يتراجع عن قراره.

ومن الألفاظ العاطفية التي وظفتها الابنة لتحرك مشاعر أبيها وتثير عاطفته؛ لفظة منيةفي قولها:

ونخـاف أن تلقـاكَ وشْـكُ منيّـةٍ فيصـيبنا الأمـر الجليـل المفظـعُ

فالمنية أو الموت من الألفاظ التي تترك أثرًا بليغًا في نفس متلقيها؛ لارتباطها في الذهن بالغياب الأبدي الذي يثير فزع الراحل على من تركهم خلفه، لاسيما وإن كانوا صغارًا لا يستطيعون العناية بأنفسهم. ووظفت الابنة المنية وما يصاحبها من مشاعر الخوف حين ختمت خطابها، فذكر أباها بوشك المنية؛ أي سرعة الموت التي ستمنعه من العودة، ومن ثم لن يستطيع تحقيق قصده من الرحيل، فيرفع عن القبيلة وعن أبنائه الضرر، ويأتيهم بالرزق، محاولة بهذا التذكير أن تثير فزعه من الموت غريبًا، وتثير فزعه وشفقته على أطفاله الصغار، آملة أن يمنعه هذا الشعور من المضي في الرحيل.

ثالثًا: الحجاج بالقيم

تعرف القيم بأنها مجموعة من "المبادئ والقواعد والمثل العليا التي يؤمن بها الناس، ويتفقون عليها فيما بينهم، ويتخذون منها ميزانًا يزنون به أعمالهم، ويحكمون به على تصرفاتهم المادية والمعنوية" [٥٩]، ولهذه القيم قوة وتأثير على أفرادها، وأي انحراف عنها يعد بمثابة خروج عن أهداف الجماعة[٦٠]. وتعد القيم إرثًا يتفق عليه المجتمع؛ لذا فإن المحاج يعول عليها ليزيد في إذعان المتلقي. وتعد القيم تعد منطلقًا حجاجيًا يلجأ إليه منشئ الخطاب لإقناع المتلقي الذي قد لا يحصل إقناعه بتوظيف

منطلقات الحجاج الأخرى كالوقائع والحقائق والافتراضات وغيرها؛ وقسم بيرلمان القيم إلى قسمين: قيم مجردة "كالعدل والحق"، وقيم محسوسة، وهي التي ترتبط بكائن حي، أومجموعة خاصة، أو شيء محدد كقيم "الوفاء، والنزاهة، والاستقامة، والأمانة، والإخلاص، والصدق، والتضامن، والانضباط"... وغيرها[٦١].رأت الابنة إصرار أبيها على الرحيل، وصعوبة إقناعه بالقعود؛ لذا كان عليها أن تتوسل بقيم حجاجية توجه أباها لما تريد، وأولى تلك الحجج، حجة الرضا التي تمثلت في قول الابنة:

إنَّـا سنرضـى مـا أقمـت بعيشـنا ... مـا كـان مـن شـيءٍ نجـوع ونشـبعُ

واللهُ يرزقنـــا فنرضـــى رزقَـــه ... وكفـى بحسـنِ معيشـةٍ مـن يقنـعُ

يفترض خطاب الابنة السابق وجود خطاب غائب للشاعر يمكن استنتاجه؛ إذ يبدو من البيتين السابقين أن الشاعر اتخذ من تأمين الرزق حجة للرحيل، واتخذت الابنة من قيمة الرضا حجة للرد على أبيها؛ فهي ترضى بما قسم الله لها ولإخوتها من رزق في حالتي الجوع والشبع. ولم ترد الابنة من توظيف حجة الرضا أن تبين موقفها مما هم فيه، وإنما وظفتها لغاية حجاجية تتمثل بدعوة الأب الضمنية إلى استحسان قيمة الرضا، والإقبال عليها. ولتكون الحجة ذات سلطة دامغة تجعل الأب يذعن ويسلم بما قالت[٦٢]، وظفت التوكيد، محدثة بذلك عدولًا عن المعنى الأصلي لجملة سنرضى ما كان من شيء نجوع ونشبع؛ فكل عدول كمي على المعنى الأصلي لا بد من أن يحدث عدولًا على مستوى المعنى والدلالة؛ فقد أضافت إنإلى المعنى الأصلي المتمثل بالرضا والقناعة، دلالة جديدة أرادت بها تنفير الشاعر من الرحيل بحجة تأمين الرزق للأبناء والقبيلة.

ومن القيم الجمعية المشتركة التي احتجت بها الابنة لاستمالة أبيها وإقناعه، قيمة المروءة وما تتضمنه من قيم الانتماء، والنجدة، والإغاثة، والحماية...، فقالت:

إنَّـا إذا مـا غبـتَ عنَّـا لـم نجـد ... ممَّـا تخلَّـف عنـدنا مـا ينفـعُ

تجفـو موالينـا ويعـرضُ جارنـا ... وقريبنـا الأدنـى يعـزُّويقطـعُ

ارتبط الشاعر بعقد اجتماعي مع قبيلته، ثم تحول هذا العقد إلى عقد فني، جعله يفخر ويشيد بالقيم الجماعية التي تمثلها القبيلة، ويعبر عن مشاعرها وتطلعاتها قبل أن يكون معبرًا عن مشاعره واتجاهاته الشخصية [٦٣]، والتزم حاجب بهذا العقد، واعتز بقومه، "وقد بلغ الاعتزاز به حدا دفعه إلى أن يضع شعره في خدمة قومه، ويعبر من خلال قصائده عن همومهم، ويتألم لآلامهم بعد أن نزل بهم القحط وعمهم الجدب وساد الفقر بسبب المحل الذي أصابهم، فكان جهادهم مريرًا ومعاناتهم صعبة"[٦٤]، مما حمله على الرحيل إلى عبد الملك بن مروان شاكيًا ما لحق بقومه من بؤس، طالبًا العون لرفع الأذى عنهم[٦٥].ولم تلتزم القبيلة بهذا العقد، وخرجت عنه؛ فجفا الأبناء الموالي، وانصرف عنهم الجار، وتخلى عنهم القريب. فاتخذت الابنة من هذا الخروج سبيلًا للكشف عن موقفها من الرحيل، وحجة تدفع بها والدها إلى استقباح الرحيل، واستحسان القعود؛ فكل ما ذكرته الابنة عن قبيلتها يخالف ما رسخ في ذهن أبيها الذي ظن أنه سيترك وراءه من سيكون سندًا لأبنائه. ولجأت الابنة مرة أخرى إلى الصيغ المضارعة التالية تجفو موالينا، يعرض جارنا، قريبنا يعز ويقطع، يصيبنا الأمر الجليل، ليس يرفع بيتنا، يذلنا أعداؤنافي شكواها القبيلة ونقدها إياها، لتصور بهذه الأفعال مستقبل البنت وإخوتها، وحالة الذل الناتجة عن غياب الأب ورحيله. وهذا

التكثيف للصيغ المضارعة من لدن البنت يجعل المتلقي يدرك الضغوط النفسية وحالة الاستلاب التي تواجهها البنت عند غياب معيلها، مما جعلها تطلق إشارتها التنبيهية لتحض أباها على القعود، وتدرك مبتغاها بإقناعه بعدم الرحيل.

رابعًا: الاحتجاج بالعواقب

لا يعد الرحيل غيابًا عن المكان فقط، بل هو تجربة نحو المجهول؛ لذا ارتبط الرحيل بمشاعر الخوف من العواقب السلبية التي ستترتب على الرحيل. ولجأت ابنة حاجب إلى الاحتجاج بالعواقب لتثير مشاعر الخوف عند أبيها، ومن ثم إقناعه بالقعود. فصورت التهديد الحقيقي الذي سيلحق بالشاعر، وعواقب الرحيل السلبية قائلة:

أبتـــا أتتركنـــا وتـــذهبَ تائهـــاً في الأرض تخفضـك الـبلادُ وترفـعُ

ابتدأت الابنة خطابها بذكر عواقب الرحيل السلبية من خلال استخدام اسم الفاعل تائهًاالذي لم ترد من توظيفه وصف حالة التيه والضياع التي يقع بها المسافر، وإنما قصدت من بداية الخطاب إلى تنفير أبيها بتخويفه من القادم المجهول الذي أوضحته بقولها: تخفضك البلاد وترفعكناية عن حالة عدم الاستقرار التي يعيشها المسافر في الغياب. وفي الاحتجاج بعاقبة الغياب السلبية لجأت الابنة إلى الحذف البلاغي في قولها تخفضك البلاد، فليست البلاد من تخفض وإنما أهلها، وإنما أرادت الابنة أن توسع في وقوع الأذى حتى يقع مما لا يوقع منه، كالجمادات، فضلًا عن وقوعه من جميع أهل البلاد التي سيحل عليها. وإمعانًا في التنفير من الرحيل، وظفت الابنة ضمير المخاطب المفرد في تخفضكلتشعر أباها بأنه المخصوص بهذا الأذى والعواقب السلبية، أما العواقب الإيجابية للرحيل فهي تعم الجميع؛ ولذا حذفت الابنة الكافمن الفعل ترفع، وما لجأت الابنة إلى هذا التضاد وتلك الطريقة في إنشاء الجملتين تخفضك البلاد وترفعإلا لتثير الرهبة في قلب أبيها، وبالتالي تحدث تغييرًا في موقفه.

ولن تكون العواقب قاصرة على الشاعر، فسوف تلحق بأبنائه الصغار، كما يتضح من قول الابنة:

فيضـــيعُ صـــبيتك الّـــذين تـــركتهم بمضـــيمةٍ في المصـــرِلـــم يترعرعُـــوا

فـــيهم صـــغيرٌلـــيس ينفـــعُ نفســـه وصـــــغيرةٌ تبكـــي وطفـــلٌ يرضـــعُ

وظفت الابنة صورة الصغار في البيت السابق لتولد عاطفة الشفقة عند أبيها؛ فالصبية الصغار ملفوظ موضوعي، لكن ما أضافته الابنة من عناصر ساهمت في تحويل الصورة إلى حجاج عاطفي. وتتمثل هذه العناصر بالأسئلة التالية:

- عمن يتحدث؟ عن الصبية الصغار الذين سيضيعون برحيل أبيهم.
- ما هو الحدث؟ ضياع الصبية الصغار، وعجزهم عند رحيل الأب.
- متى سيقع الحدث؟ سيقع الحدث مستقبلًا برحيل الأب.
- أين سيتم الحدث؟ في القبيلة.
- ما هو سبب معاناة الأبناء الصغار؟ رحيل الأب، وتخلي القبيلة عن واجبها تجاه شاعرها، وخرقها للعقد الاجتماعي.
- كم عدد الضحايا؟ يتضح من خطاب الابنة أنهم ثلاثة صغار؛ صغير ليس ينفع نفسه، وصغيرة تبكي، وطفل يرضع.

– ألا يمكن تجنب هذا الحدث؟ يمكن تجنب هذا الأمر، إما بقعود الأب، أو بالتزام القبيلة بالعقد الفني والاجتماعي في حال رحيله.

ساهمت الإجابة على الأسئلة السابقة في وسم الخطاب بالشفقة؛ فضياع الصبية الصغار غير القادين على إدارة أنفسهم؛ بسبب رحيل أبيهم، أضفى على الحجاج شفقة سعت من خلالها الابنة إلى استمالة عاطفة الشاعر؛ لدفعه إلى القعود ونبذ الرحيل.

ولجأت الابنة إلى بيان العواقب السلبية التي ستقع بها وإخوتها مرة أخرى، فقالت:

إنَّــا إذا مــا غبــتَ عنَّــا لــم نجــد ممَّــا تخلَّــف عنــدنا مــا ينفــعُ

تجفــو موالينــا ويعــرضُ جارنــا وقريبنــا الأدنــى يعــزُّويقطــعُ

لم يشأ الشاعر الرحيل دون طمأنة ابنته أنه تارك وراءه من سينفعها وإخوتها ويرعاهم، متخذًا من ذلك حجة لإقناعها بقبول فكرة الرحيل، كما يفهم من البيت الأول الذي كشف عن يقين الابنة من عدم جدوى من خلفهم الشاعر وراءه. وأحدثت الابنة في قولها إنا إذا غبت ...عدولًا جديدًا بتوظيف حرف التوكيد إنلخدمة غرضها الحجاجي؛ فخرجت من الإخبار إذا غبت عنا ...إلى التوكيد إنا إذا غبت...؛ وهي بذلك تنفي يقين الشاعر وثقته فيمن خلف وراءه.

انتقلت الابنة من استخدام ضمير الغائب الجمع والمفرد فيهم، نفسهإلى ضمير المتكلم الجمع نافي البيتين السابقين، محدثة بذلك التفاتًا لتثير انتباه أبيها؛ فيكشف استعمال الضمائر هذا أن الابنة لم تكن من الصبية الصغار، ولعل ما يؤكد ذلك أن الشاعر خاطبها في بداية حديثه بـ بنتيحين قال:

لمَّــا رأتْ بنتــي بــأنِّي مُزمــعٌ بترحُّــلٍ مــن أرضــها فمــودِّعُ

فهو لم يلجأ إلى التصغير تحببًا أو جذبًا لرضاها، وإنما وظف بنتيليشعرها بالمسؤولية تجاه إخوتها، وحتى تشعر أباها بعظم العاقبة من رحيله لجأت إلى ضمير الجمع المتكلم مشيرة إلى أن العجز لا يخص الصغار، بل يخصها هي أيضا الكبيرة القادرة على أن تدير حياتها؛ لأن الانكسارات من الرحيل أصبحت أعظم. تبين الابنة الانكسارات التي ساهمت في الكشف عن واقع اجتماعي خرق العقد الاجتماعي، فانعكست آثار هذا الخرق على أبناء الشاعر قلقًا وخوفًا، ودق بغياب الأب مسمارًا في نعش أمان الأبناء وسعادتهم. واتخذت الابنة من هذه العواقب حججًا لتقنع أباها بالقعود معتمدة على سلم حجاجي يكون "بمنزلة دعامة استدلالية لغرضه الذي من أجله كانت العملية التخاطبية، والحجج التي يوردها لن تكون على درجة، بل تختلف ةتتفاوت فيما بينها وفق القوة والضعف" [٦٦]. ويمكن تمثيل العلاقة الترتيبية للحجج بالترسيمة التالية:النتيجة نالعواقب السلبية المترتبة على رحيل الأب، والتنفير من الرحيل واستقباحه ح٣ يعز قريبنا ويقطع ح٢ يعرض جارنا ح١ تجفو موالينا

فمن خلال الترسيمة السابقة، فإن الابنة تدرجت في ترتيب الحجج، فبدأت الانكسارات من الأبعد وهم الموالي الذين كانت العرب تعتمد عليهم لجلب قوتهم ودعم عائلاتهم، ثم الجار الذي نص العقد الاجتماعي على أن يحمي جاره، وأخيرًا، كان الانكسار الأقوى والأشد والمتمثل بالأقارب المقربين الذين كان الشاعر يظنهم سندًا لأبنائه. لقد شكل تكثيف الابنة لصور

الضعف والانكسار والذل في القصيدة سياسة ذكية لإيقاف فعل الرحيل، مثلما أن هذه السياسة أكدت في الوقت نفسه غياب سلطة الأب في القبيلة عند رحيله بعد أن كانت حاضرة بإقامته. أحسنت ابنة حاجب ابتداء خطابها حين أثارت عاطفة أبيها ببيان عنايتها به، وخوفها عليه وما سيلقاه من ضرر في غربته، وأدركت أن عليها أن تحسن الانتهاء كما أحسنت الابتداء؛ لأن الانتهاء هو "آخر ما يعيه السمع ويرتسم في النفس"[٦٧]، ويقصد به منشئ الخطاب، استعطاف أسماع الحضور، وتحريك أنفسهم، ليبقى أثر ما يقول عالقًا في النفوس[٦٨]؛ ولذا لجأت ابنة حاجب في ختام خطابها إلى الاحتجاج بالخوف أولًا، ثم الاحتجاج بالعواقب، فقالت:

ونخـــاف أن تلقـــاكَ وشْـــكُ منيّـــةٍ فيصـــيبنا الأمـــر الجليـــل المفظـــعُ

فنصـــيربعـــدك لـــيس يُرفـــع بيتُنـــا ويـــــذلُّنا أعـــــداؤنا ونُضـــــيَّعُ

أثارت العواقب السلبية والانكسارات التي ذكرتها الابنة مشاعر الخوف عندها، وسعت إلى أن تثير المشاعر ذاتها عند أبيها، لكنها لم تلمس وهي تخاطبه شيئًا من ذلك؛ فقد ظل صامتًا طوال خطابها، ولم يسمع صوته؛ لذا كان عليها أن ترسل رسالة أقوى لإثارة مشاعر الخوف عنده، وتصوير تهديد جدي وثيق الصلة بذاته[٦٩]، فوظفت حجة الموت وشك منيةأي سرعة الموت الذي لن يمكنه من تحقيق قصده من الرحيل، ولم تحتج الابنة بالموت لذاته، فهو واقع بالبشر أينما كانوا، وإنما اتخذت من الموت حجة تثير فزع أبيها لتذكر عواقبه العظيمة، فموت الأب سيعجل الانكسارت فيصيبنا، ولن تعود تلك الانكسارات جفاء وإعراضًا وقطيعة تنتهي بعودة الأب، فانكسارات الموت دائمة؛ لأن من يستطيع إزالتها سيغيب غيابًا دائمًا لا رجعة فيه، وهذا هو الأمر الجليل المفظع، سيوقع بهم الذل من القريب والبعيد، فصبح الضياع أبديًا. وحملت عاقبة الموت الفظيعة الابنة إلى أن تختم خطابها بسؤال عبرت من خلاله عن قهرها وغضبها، فقالت:

هـذا الرَّحيـلُ وأمرنـا مـا قـد تـرى فمتـى تـؤوب إلـى الصِّـغاروترجِـعُ

لم تنتظر الابنة من سؤالها بـ متجوابًا حقيقيًا مباشرًا يعين به زمن العودة، وإنما أرادت التعبير عن اشتياقها لحضوره، وهي بهذا تضفي على السؤال قوة شعورية تعبيرية تعزز من مشاعرها وأحاسيسها، وتضيف عمقًا إلى النص الشعري؛ وتبعث برسالة ضمنية لأبيها المخاطب أن ليس زمن العودة هو المعني بخطابها، وإنما انتهاء الاشتياق المرتبط بالعودة، والذي سيؤدي بالتالي إلى انتهاء المعاناة والانكسارات، والتركيز على الاشتياق من شأنه أن يستميل الأب، وقد نجحت في ذلك، فبعد سؤالها جاءها الرد مباشرة: فخنقت من قول الصغار بعبرة.

خامسًا: الروابط الحجاجية

الواو:يجمع الرابط الحجاجي الواو بين الحجج، ويرتبها، ويصل بعضها ببعض، ويعمل على تحقيق الانسجام الحجاجي، ويحقق التوجيه الحجاجي ويعززه[٧٠]. ووردت الواوفي خطاب ابنة الشاعر في غير موضع، بغية الربط بين الحجج وتقويتها للوصول إلى نتيجتين مختلفتين يؤدي كلاهما إلى القصد نفسه من الخطاب، وهو إقناع الأب بالقعود وعدم الرحيل. أما النتيجة الأولى والحجج التي تناغمت واتسقت للوصول إليها، فقد تمثلت بقول الابنة:

فيضـــيعُ صـــبيتك الّـــذين تـــركتهم بمضـــيمةٍ في المصـــرِلـــم يترعرعُـــوا

فـــيهم صـــغيرٌلـــيس ينفـــعُ نفســـه وصـــــغيرةٌ تبكـــي وطفـــلٌ يرضـــعُ

في البيتين السابقين تبين الابنة لأبيها عاقبة الرحيل وما سيترتب عليه من ضياع إخوتها من خلال إضافة البعد الحجاجي إلى العطف بـ الواوالتي لو حذفت لبدا النص غير منسجم ومتكامل؛ فقد مكن الرابط الحجاجي الواومن جمع الحجج المخصوصة بهم. ويمكن تمثيل النتيجة وحججها على النحو التالي:

ن- فيضيع صبيتك الذين تركتهم

ح١- فيهم صغير ليس ينفع نفسه و

ح٢- صغيرة تبكي.و

ح٣-طفل يرضع

فالابنة اتخذت من أسباب ضياع الصغار، حججًا تقنع بها الأب بعد الرحيل.

وأما النتيجة الثانية والحجج التي ساقتها للوصول إليها، فقد وردت بقولها:

إنَّـــا إذا مـــا غبـــتَ عنَّـــا لـــم نجـــد ممَّـــا تخلَّـــف عنـــدنا مـــا ينفـــعُ

تجفـــو موالينـــا ويعـــرضُ جارنـــا وقريبنـــا الأدنـــى يعـــــزُّويقطـــعُ

كان من الأسباب التي جعلت حاجب يصر على قراره، ويطمئن لرحيله، ظنه أن من خلفه سيعتنون بأبنائه، وأرادت الابنة أن تبين لأبيها خطأ ظنه هذا، فساقت من الحجج ما يؤيد كلامها، ويثبت النتيجة التي سعت للوصول إليها، كما يظهر الترسيمة الآتية:

ن- لم نجد مما تخلف عندنا ما ينفع.

ح١- تجفو موالينا

و

ح٢- يعرض جارنا.

و

ح٣- يعز قريبنا الأدني.

و

ح٤- يقطع قريبنا الأدنى.

ربطت ابنة الشاعر بين الحجج السابقة برابط الوصل الواو الذي عمل على شد الحجج وتقوية بعضها ببعض؛ فلو حذفت الواو لبدت الحجج منفصلة عن بعضها، وقد تشي بتحقق واحدة دون الأخرى، إلا أن وجود الواو أفاد الجمع والاشتراك بين الحجج، وهذا مما يعظم من أثر وقوعها، وبالتالي قد يستميل الشاعر ويؤثر فيه.

الفاء:تعد الفاءمن الروابط الحجاجية التي تشترك مع الواوفي الجمع بين الحجج والدلالة على الاتصال والمشاركة، وتفترق عنها في إفادتها الترتيب والتعقيب الذي يجعل المعطوف يأتي بعد المعطوف عليه بغير مهلة أو بمدة قريبة[٧١]، وللفاء دور في الاستنتاج، والربط السببي بين حجة سابقة ونتيجة لاحقة، فتشكل رابطًا سببيًا يربط النتائج بالمقدمات لبناء نص متناغم[٧٢].

وقد وردت الفاءفي خطاب ابنة حاجب في قولها:

أبتـــا أتتركنـــا وتـــذهبَ تائهـــاً في الأرض تخفضـك الـبلادُ وترفـعُ

فيضـــيعُ صـــبيتك الّـــذين تـــركتهم بمضـــيمةٍ في المصـــرِلـــم يترعرعُـــوا

وفي قولها:

ونخـــاف أن تلقـــاكَ وشْـــكُ منيّـــةٍ فيصـــيبنا الأمـــر الجليـــل المفظـــعُ

فنصـــيربعـــدك لـــيس يُرفـــع بيتُنـــا ويـــــذلُّنا أعـــــداؤنا ونُضـــــيَّعُ

استعملت الابنة الرابط الحجاجي الفاءفي الشواهد السابقة للربط بين الحجة والنتيجة المترتبة عليها بشكل سريع دون تراخٍ؛ فجعلت النتيجة قريبة الوقوع من الحجة؛ لتعبر عن عظم النتائج والعواقب الوخيمة المترتبة على رحيل الشاعر؛ فضياع الصبية سيقع بمجرد الرحيل؛ فهم ضعاف لا يستطيعون أن يعولوا أنفسهم، وليس هناك من يعولهم؛ لأن من ظن بهم العون خذلوه ولم يفعلوا ما توقع منهم. واستعانت الابنة بحجة الموت لاستمالة أبيها؛ فالموت فراق أبدي وغياب لا رجعة منه؛ وإذا ما علم الأعداء بذلك، ورأوا تخلي القبيلة عن أفرادها؛ فإن الذل والخضوع أمر سيتحقق سريعًا؛ فلا يوجد من يدافع عن الصبية بغياب السند والمعيل. قد تسهم النتائج التي ذكرتها الابنة في شد انتباه الشاعر، إلا أن توظيف الفاءتقوي من هذا الشد، وتجعل الأمر عظيمًا في داخله، مما قد يثير عواطفه ويقنع بالقعود.

الانتهاءيعد الحجاج حوارًا بين طرفين مختلفين في الرؤية والموقف، يتبادلان الحجج المختلفة حتى يعلن أحدهما الانهزام إما بشكل صريح أو بشكل ضمني عن طريق الصمت الذي قد يعني الانهزام والتسليم بأطروحة الخصم[٧٣]، وفي خطاب الابنة، غاب الأب، وصمت عن الرد على حججها، وكانت كلمة الصغارالتي تعد من ألفاظ العاطفة المثير الذي أنطقه بعد غياب، فقال:

فخُنِقـتُ مـن قـول الصِّـغاربعبـرةٍ . كـــادَ الفـــؤادُ لقـــولهم يتصـــدَّعُ

وأجبتُهـــا: صـــبرًا بنيَّـــةُ واعلمـــي أن لـــيس يعـــدو يومـــه مـــن يجـــزعُ

لقد نجحت الابنة في إثارة عاطفة أبيها وشفقته حين ركزت على الصغار وضعفهم؛ فقد كانوا السبب الرئيس في استمالة الأب عاطفيًا حتى انحبست العبرة، وكاد الفؤاد يتصدع شفقة وألمًا على مصير الأبناء. وإن كانت الابنة قد نجحت في استمالة الأب عاطفيًا، فإنها أخفقت في حمله على ترجمة هذه الاستجابة إلى فعل واقعي، فقد عصى العاطفة، وأصر على قراره، وحاول استمالتها لتقتنع بقراره من خلال الحجج التالية:

أولًا: حجة الصبر

كان الاحتجاج بالخوف من الوسائل التي وظفتها الابنة لاستمالة أبيها والتأثير فيه؛ لذا ارتأى الشاعر أن يرد على ابنته الحجة بالحج؛ فوظف قيمة الصبر التي تناقض قيمة الخوف والفزع. وفي توظيف الشاعر للصبر غايتان؛ ظاهرة ومضمرة؛ أما الظاهرة؛ فهي حث الابنة على الرضا بما قدر لها والثبات، وبالتالي الموافقة على قرار الرحيل. وأما المضمرة، فهي إخفاء عجز الشاعر عن الاستجابة لخطاب الابنة، ومواجهة المجتمع والانسلاخ عنه. ووظف الشاعر أسلوب الإغراء صبرًا، وحذف عامل المفعول المطلق اصبري؛ تنبيهًا على أهمية المذكور الصبر، وجعل المخاطب يفعل الشيء المحمود ويحببه فيه؛ فذكر فعل الأمر الزم أو اصبرهو طلب حصول الفعل على وجه الإجبار دون إعطاء فرصة للاقتناع، وهذا يجعل الأمر/ الصبر، مهما كان محمودًا، غير مقبول من الابنة التي جاءت بحجج قوية تثبت بها عواقب رحيل الأب السلبية. ولم يقيد الشاعر الصبر بزمن ولذلك لجأ إلى توظيف المفعول المطلق صبرًاالذي هو مصدر يدل على حدث مجرد من الزمان ، يؤتى به لتأكيد عامله[٧٤]، وهذه الدلالة لا تتوافر مع ذكر الفعل اصبر؛ وبذلك يحقق الحذف أموراً عدة منها؛ التأثير في المقابل، والإيحاء إليه، وإثراء دلالة النص؛ فيحقق المتكلم بالحذف غايات لا يستطيع الذكر تحقيقها. وفي عدم التقيد بالزمن في قوله صبرًاإجابة على سؤال الابنة فمتى تؤوب إلى الصغار وترجع؛ فالشاعر يجيب بصدق عن سؤالها، فهو لا يعلم متى سيأتي اليوم ويعود به؛ لأنه لا يعلم متى سيكون قادرًا على الانسلاخ عن قومه؛ فليس الصبر هنا صبرًا على الرحيل فقط، بل هو صبر على التمرد على المتخيل الثقافي للمجتمع الذي خذله، والذي لم يستطع الشاعر الإعلان عنه؛ لذا لجأ للابنة قناعًا، وللصبر جوابًا. ثانيًا: التصغير خاطب الشاعر ابنته بعد حثها على الصبر بقوله بنية، ويوحي سياق الجواب صبرًا بنيةأن الشاعر حذف أداة النداء؛ تلطفًا وتحببًا إليها، وتذكيرًا بقوة العلاقة بينهما، وهو المعنى ذاته الذي أرادته الابنة حين حذفت أداة النداء في بداية خطابها، فقالت: أبتا أتتركنا. وتحمل دلالة التصغير في هذا السياق معاني الحب والشفقة من الشاعر على ابنته بعدما سمع ما قالت، واستجابت لها عاطفته. وأضاف الشاعر الابنة لنفسه؛ فأصل "تصغير كلمة بنية بُنَيْوِي اجتمعت الياء والواو في كلمة واحدة، والسابق منها متأصل في الذات والسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت في ياء التصغير فصارت بنيبي، ثم حذفت الياء الثانية المنقلبة عن الواو؛ لكراهة توالي ثلاث ياءات في كلمة واحدة، وأدغمت ياء التصغير في ياء المتكلم المفتوحة، ثم أدخلت تاء التأنيث؛ لأن المنادى مؤنث فصارت بنية" [٧٥]، وفي إضافة الشاعر الابنة لنفسه تعظيم لشأنها، وبيان لرفعة مكانتها عنده، وفي ذلك استمالة لها لترضى بقراره. وأراد الشاعر بالنداء المضمر والتصغير بنيةأن ينبه ابنته ويهيئها إلى ما سيلقيه عليها لاحقًا حين قال: واعلمي أن ليس يعدو يومه من يجزع. ثانيًا: حجة الشاهد أو الدليل وهي من الحجج الجاهزة التي تعد "بمثابة الدعامات القوية" [٧٦] التي تتيح للمتكلم أن يسمع المتلقي صوتًا غير صوته له مصداقيته وقوته[٧٧]. ولجأ الشاعر إلى الحكمة في قوله ليس يعدو يومه من يجزع؛ لما تحمله في أطوائها من توجيه أو تلميح غير مباشر يتضمن الدعوة إلى نبذ الخوف والمضي قدمًا في الحياة، وقد تناص قول حاجب ليس يعدو يومه من يجزعمع المثل العربي "لا عيش لمن يضاجع الخوف"[٧٨]، وفي توظيف الحكمة التي هي نتاج تجربة الآخر، يجيب الشاعر على احتجاج ابنته بالخوف، ويعطي جوابه مصداقية؛ ليقنعها بالرضا بالرحيل وعواقبه. فالشاعر، وإن أظهر تأثره بما قالت ابنته، إلا أنه لا يستطيع أن يجيبها لما أرادت، فذلك يخرجه عن شروط العقد الاجتماعي الذي حرص على

ألا يخرقه؛ لذا قدم مصلحة النحن على مصلحة الذات، وظل مخلصًا للنحن حتى في جوابه حيث تبنى رأي الجماعة ولم يجرؤ على إعلان موقفه والامتناع عن الخروج.

الخاتمة

تناولت الدراسة الحجاج في عينية حاجب الفيل لما رأت بنتي بأني مزمع، وهدفت إلى الوقوف على الآليات والروابط الحجاجية التي وظفها الشاعر لتحقيق غايته، وخلصت إلى النتائج التالية:

- قصيدة حاجب من النصوص المهمشة في تراثنا العربي القديم، وقد يرجع ذلك إلى تسليطها الضوء على انتقاد الشاعر لخروج القبيلة عن القيم الاجتماعية التي طالما تغنى بها الشعراء، وفخرت بها القبائل.
- أحدث حاجب خروجًا عن السلطة الأدبية في عصره، تمثل في بناء العينية التي استغرقت مشهدًا واحدًا، وفي انتظامها في وحدة شعورية وموضوعية، وفي غلبة صوت الابنة على صوت أبيها فنيًا.
- أحدث حاجب خروجًا عن السلطة الاجتماعية حين انتقد خرقها للعقد الاجتماعي الذي يجمع بينه وبينها؛ مما أدى إلى معاناة أبنائه.
- خرج مشهد الوداع عند حاجب عن غرضه الأساس؛ فلم يكن تشييع للشاعر بالسلامة، وإنما كان بث شكوى، وتصوير معاناة، ومحاولات لثني الأب عن الرحيل.
- اتخذ الشاعر من الحوار أسلوبًا فنيًا لخطابه؛ لأنه يسمح للمتحاورين بالتعبير عن ذواتهم وآرائهم بشأن القضايا موضوع الجدال.
- اتخذ الشاعر من الرؤية البصرية وسيلة لتأكيد قرار رحيله لابنته.
- حمل الشاعر الجملة المعترضة وظيفة دلالية كشف من خلالها عن حال الابنة، وموقفها من الرحيل.
- وظفت الابنة النداء والاستفهام لدورهما الحجاجي في تحقيق غاية الابنة وقصديتها.
- استخدمت الابنة الحجاج بالعواطف لتثير عاطفة أبيها من خلال توظيف ألفاظ العاطفة المباشرة وغير المباشرة.
- اتخذت الابنة من القيم منطلقًا حجاجيًا تستميل بها أباها، وتدفعه إلى استقباح الرحيل.
- حرصت الابنة على ذكر عواقب رحيل الأب السلبية على الشاعر والأبناء؛ متخذه من تلك العواقب حججًا لثني الأب عن الرحيل.
- وظفت الابنة السلم الحجاجي في ترتيب الحجج، وعرضها من الأضعف إلى الأقوى.
- أحسنت الابنة في الابتداء والانتهاء، فوظفت الاستفهام، وخرجت به عن معناه الحقيقي إلى معانٍ تحقق غاياتها.
- وظفت الابنة الروابط الحجاجية: الواو والفاء؛ للجمع بين الحجج، وترتيبها.
- نجحت الابنة في تحقيق غايتها، والتأثير على أبيها، واستمالته عاطفيًا، لكنها لم تستطع أن تحمله على ترجمة هذا التأثر إلى واقع عملي.
- لم يمتلك الشاعر أمام حجج ابنته إلا أن يدعوها إلى الصبر.

- اتخذ الشاعر من المثل الشاهدحجة يقنع ابنته به تحمل الأمر، والرضا برحيله.
- لم يستطع الشاعر أمام كل صور الانكسار والضعف التي عرضتها الابنة، أن ينسلخ عن قبيلته، ويؤثر عليها أبناءه.
- يمكن أن يقرأ خطاب حاجب الفيل قراءة ثقافية، تسلط الضوء على المركز والهامش، وتحولات السلطة في الحضور والغياب.

الهوامش

[١] القصدية في النص الأدبي، ميلود عاشور: ١٢٧.
[٢] استراتيجيات الخطاب ، عبد الهادي الشهري: ٢٦.
[٣] نفسه: ٥٦.
[٤] الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، عبدالله صولة: ٢٩٩.
[٥] نفسه.
[٦] اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي: ٢٧.
[٧] نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت: ٣٤٥.
[٨] الخطاب الإشهاري في النص الأدبي، مريم الشنقيطي: ٧٤.
[٩] ينظر: حاجب الفيل: حياته وما تبقى من شعره، نوري القيسي: ١٨٨.
[١٠] بهجة المجالس وأنس المجالس ،القرطبي: 232.
[١١] استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري: ٤٥٧.
[١٢] لأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية ، عبد العزيز لحويدق: ٨٤٨.
[١٣] الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني: ١٤/ ١٦٨.
[١٤] ينظر: حاجب الفيل: حياته وما تبقى من شعره، نوري القيسي: ١٨١-١٩٢.
[١٥] ينظر: الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي، حسين عطوان: ٢٨٥-٢٩٤.
[١٦] حاجب الفيل: حياته وما تبقى من شعره، نوري القيسي: ١٨٧.
[١٧] ينظر: نفسه: ١٨٤. وينظر: الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي، حسين عظوان: ٢٨٤.
[١٨] حاجب الفيل: حياته وما تبقى من شعره، نوري القيسي: ١٨٧.
[١٩] ينظر: نفسه: ١٨٢.
[٢٠] ينظر: نفسه: ١٨١-١٩٢.
[٢١] بهجة المجالس وأنس المجالس ،القرطبي: ٢٩.
[٢٢] العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، إحسان النص: ٣٨٦.
[٢٣] نفسه: ٦٢٢.
[٢٤] الشكوى في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ظافر الشهري: ٥.
[٢٥] الاستعطاف في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف، محمد جاسر جبالي: ٨-٩.
[٢٦] ديوان الأعشى: ٤١.
[٢٧] مشهد الوداع في الشعر العربي الحديث، محمد الزين: ١٢.
[٢٨] مَوَاقِفُ الوَدَاعِ فِي القَصِيدَةِ الجَاهِلِيَّةِ دِرَاسَةٌ فِي الحُضُورِ، اليونس: ٣٣٨.
[٢٩] مشهد الوداع وعلاقته بالمضمون في رائية ابن دراج القسطلي، محمود شاهين: ١٣٥٧-١٣٥٨.

[٣٠] لسان العرب، ابن منظور: ٨/ ٣٨٥- ٣٨٦.
[٣١] بلاغة الإقناع في المناظرة، عبد اللطيف عادل: ١٠٩.
[٣٢] الحوار في الرسالة الموضحة، كريم لؤي: ٧٧.
[٣٣] الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، عبد الله صولة: ١٤.
[٣٤] ديوان الأعشى: ٤١.
[٣٥] مالك بن الريب: حياته وشعره، نوري القيسي: ٨٩-٩٠.
[٣٦] شعر الرثاء في العصر الجاهلي، مصطفى الشورى: ١٢٩.
[٣٧] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب: ١/١٩٦-١٩٧.
[٣٨] أحوال لما النحوية، مجلة الأصالة، مسعود: ١٥٧-١٥٨.
[٣٩] علوم البلاغة، البيان والمعاني والبديع، أحمد المراغي: ٤٣.
[٤٠] لسان العرب، ابن منظور: ١٤/ ٢٩٥.
[٤١] النحو الوافي، عباس حسن، ٣/٢٣٨.
[٤٢] لسان العرب، ابن منظور: ٨/١٤٤.
[٤٣] نفسه: ٨/١٤٤.
[٤٤] أدوات العطف بين التصور اللساني والبعد الحجاجي، تجاني حبشي: ٣٥٨.
[٤٥] لسان العرب، ابن منظور: ٩/٣٠٧.
[٤٦] نفسه: ١/٤٣١.
[٤٧] الوظائف التداولية للجملة الاعتراضية في الخطاب الأدبي، كاهنة دحمون: ٢٤٥.
[٤٨] الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز، مختار عطية: ٢٧٦.
[٤٩] معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي: ١/٢٤٩.
[٥٠] بلاغة النّص من منظور لغوي، حنان عمايرة: ٩٦/٣١٩.
[٥١] البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم، عبد الحليم عيسى: ١٩٢.
[٥٢] نظام الحجاج بالعواطف في قصيدة البكاء، بواجلاين الحسن: ٣٢-٣٣.
[٥٣] مشهد الوداع في الشعر العربي الحديث، محمد الزين: ١٣.
[٥٤] لسان العرب، ابن منظور: ١/٦٤٢.
[٥٥] نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري: ٣/٢٥٦.
[٥٦] استراتيجيات الخطاب ، عبد الهادي الشهري: ٢/٢٦٩.
[٥٧] نفسه: ٢/ ٤٨٦.
[٥٨] الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، ابن قيم الجوزية: ١٤٨.
[٥٩] القيم التربوية في قصص القرآن، سيد طهطاوي: ٢٩٤.
[٦٠] القيم والتربية، لطفي أحمد: ٤.
[٦١] ينظر: حجاجية القيم في خطبة حجة الوداع، كمال الزماني: ٨٣.
[٦٢] العامل الحجاجي والموضع، عز الدين ناجح: ٩٧.
[٦٣] دراسات في الشعر الجاهلي، يوسف خليف: ١٧٤-١٧٥.
[٦٤] حاجب الفيل: حياته وما تبقى من شعره، نوري القيسي: ١٨٣.
[٦٥] ينظر: حاجب الفيل: حياته وما تبقى من شعره، نوري القيسي: ١٨٣.

[٦٦] الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله، رضوان الرقبي: ٩٥.
[٦٧] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب: ٣٢٧/١.
[٦٨] نفسه: ٣٢٨/١-٣٢٩.
[٦٩] الاستدلال العملي وبنية الحجج المتوسلة بالخوف، دوغلاس والتون: ٤.
[٧٠] الحجاج في القرآن الكريم-آيات الأحكام نموذجًا، عايد حنون: ٣٣.
[٧١] نحو اللغة العربية، محمد النادري: ٨٥٧.
[٧٢] الحجاج في القرآن الكريم-آيات الأحكام نموذجًا، عايد حنون: ٣٣.
[٧٣] هل في الصمت حجاج؟ قراءة جديدة لما في الصمت من حكمة، سامية الدريدي: ٦٣.
[٧٤] الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي: 56 .
[٧٥] التصغير ودلالته البلاغية في البيان النبوي، محمد مرعي: ٨٧.
[٧٦] استراتيجيات الخطاب ، عبد الهادي الشهري: ٥٣٧.
[٧٧] دور المخاطب في إنتاج الخطاب الحجاجي، حسن الموطن: ٢٥٤.
[٧٨] مجمع الأمثال، الميداني: ٢٤١/٢.

المصادر

- استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
- الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، عبد العزيز لحويدق، إشراف حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن.، ٢٠١٠م.
- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠م.
- الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز، مختار عطية، دار المعرفة الجامعية، المنصورة، ١٩٩٥م.
- الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي، تحقيق مازن المبارك، دار العروبة، القاهرة، ١٩٥٩م.
- بلاغة الإقناع في المناظرة، عبد اللطيف عادل، منشورات ضفاف، بيروت. ط١، ٢٠١٣م.
- البنات في شعر الآباء، الألوكة، الرياض، مسعد عيد العطوي، ٢٠٠٠م.
- بهجة المجالس وأنس المجالس، أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١م.
- التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط.١، ٢٠٠٥م.
- الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، عبدالله صولة: من خلال "مصنف في الحجاج-الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكاه، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، عبد الله صولة، إشراف، حمادي صمود. جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، ١٩٨٨م.
- الحجاج في القرآن، عبد الله صولة، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، تونس. ط٢، ٢٠٠٧م.
- الحجاج في القرآن الكريم-آيات الأحكام نموذجًا، عايد جدوع حنون، وثائر عمران الجنابي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠٢٠م.
- الخطاب الإشهاري في النص الأدبي، دراسة تداولية، مريم الشنقيطي، دار الفيصل الثقافية، الرياض.
- دراسات في الشعر الجاهلي، يوسف خليف، مكتبة غريب، القاهرة.
- دور المخاطب في إنتاج الخطاب الحجاجي، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، حسن المودن، إعداد حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠١٠م.
- ديوان الأعشى الكبير، تحقيق محمد حسين، مكتبة الآداب، الجماميزت، ١٩٥٠م.

- العامل الحجاجي والموضع، ضمن كتاب الحجاج والاستدلال الحجاجي، عز الدين الناجح، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، دار ورد الأردنية، ط١، ٢٠١١م.
- شعر الرثاء في العصر الجاهلي، مصطفى الشورى، الشركة المصرية للنشر، ط١، ١٩٩٥م.
- الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي، حسين عطوان، دار الجيل، ط٢، ١٩٨٩م.
- العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، إحسان النص، دار الفكر، ط٢، ١٩٧٣م.
- علوم البلاغة، البيان والمعاني والبديع، أحمد المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.
- عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، ابن القيم الجوزية، إشراف لجنة تحقيق التراث، مكتبة الهلال، بيروت، د.ت
- القيم التربوية في قصص القرآن، سيد أحمد طهطاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٦م.
- القيم والتربية، لطفي بركات أحمد، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٩٣م.
- لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور،نشر أدب الحوزة، قم، ١٩٨٤م.
- اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٦م.
- مجمع الأمثال، أبو الفضل الميداني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وآخرون، مكتبة لبنان، لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.
- نحو اللغة العربية، كتاب في قواعد النحو والصرف مفصلة موثقة مؤيدة بالشواهد والأمثلة، محمد أسعد النادري، المكتبة العصرية، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، ط٤، د.ت.
- نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، شكري المبخوت، إشراف، حمادي صمود. جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، ١٩٨٨م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٤م.

الأطاريح والرسائل الجامعية:

- الاستعطاف في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف، محمد جاسر جبالي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ٢٠٠٣م، **إشراف: أ.د. وائل أبو صالح.**
- الشكوى في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ظافر عبد الله الشهري، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، ١٩٩٠م، **إشراف: أ.د. إبراهيم أحمد الحاردلو.**

البحوث والمقالات:

- أحوال لما النحوية، حسين مسعود، مجلة الأصالة، كلية التربية، جامعة سبها، ليبيا، العدد الأول، ٢٠٢٢م.
- أدوات العطف بين التصور اللساني والبعد الحجاجي، تجاني حبشي، مجلة المعيار، جامعة الجلفة، الجزائر، مج/١٣، العدد الأول، ٢٠٢٢م.
- الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله، رضوان الرقبي، مجلة عالم الفكر، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج/٢، العدد الأربعون، ٢٠١١م.
- الاستدلال العملي وبنية الحجج المتوسلة بالخوف، دوغلاس والتون، ترجمة: عبد المجيد سعيد، مجلة – كلام، مختبر اللغة والتواصل بالمركز الجامعي، الجزائر،،مج/ ٦، العدد الرابع، ٢٠٢٠م.
- الاستراتيجية التوجيهية في رسائل "يوسف بن تاشفين"، صارة مزياني، وآخرون، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، الجزائر، مج/٩، العدد الخامس، ٢٠٢٠م.
- بلاغة النّص من منظور لغوي دراسة في مستويات التحليل اللغوي لقصيدة أبي فراس الحمداني يا حسرة ما أكاد أحملها، حنان عمايرة، وآخرون، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ٢٠١٩م.
- البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم – سورة الأنبياء نموذجا، عبد الحليم عيسى، مجلة التراث العربي، دمشق، ع١٠٢، ٢٠٠٦م.
- التصغير ودلالته البلاغية في البيان النبوي، محمد عبود مرعي، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، مصر، مج/٣٣، العدد الأول، ٢٠٢٠م.

- حاجب الفيل: حياته وما تبقى من شعره، نوري القيسي، المورد، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، مج/ ١٥، العدد الأول، ١٩٨٦م.
- حجاجية القيم في خطبة حجة الوداع، كمال الزماني، أبوليوس مجلة الآداب واللغات، جامعة محمد الشريف مساعدية، الجزائر، مج/ ٦، العدد الأول، ٢٠١٩م.
- الحوار في الرسالة الموضحة، كريم عطية لؤي، مجلة العلامة، جامعة المثنى، العراق، مج/٧، العدد الأول، ٢٠٢٢م.
- القصدية في النص الأدبي، ميلود مصطفى عاشور، وآخرون، مجلة الرواق، جامعة لندن، المملكة المتحدة، ط١، ٢٠١٥م.
- مالك بن الريب حياته وشعره، تحقيق نوري حمودي القيسي، مالك بن الريب، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج/ ١٥، العدد الأول.
- المرأة القناع في الشعر العربي: الفخر بالكرم والشجاعة أنموذجًا، هند بنت عبد الزاق المطيري، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٢٠م.
- مشهد الوداع في الشعر العربي الحديث، محمد موسى الزين، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، مصر، مج/٤٦، العدد الأول، ٢٠١٦م.
- مشهد الوداع وعلاقته بالمضمون في رائية ابن دراج القسطلي، محمود شاهين، مجلة كلية اللغة العربية، المنوفية، العدد الثامن والثلاثون، ٢٠٢٣م.
- مواقف الوداع في القصيدة الجاهلية، دراسة في الحضور والتجلي، Hafel Alyounes، Nüsha، مج/ ٢٠، العدد الأول، والخمسون، ٢٠٢٠م.
- نظام الحجاج بالعواطف في قصيدة البكاء للشاعر محمود درويش، بوجلاين الحسن، مجلة مقامات، الجزائر، مج/ ٤، العدد الثاني، ٢٠٢٠م.
- هل في الصمت حجاج؟ قراءة جديدة لما في الصمت من حكمة، سامية الدريدي، مجلة الحياة الثقافية، تونس، العدد ٢٤٧، ٢٠١٤م.
- الوظائف التداولية للجملة الاعتراضية في الخطاب الأدبي، كاهنة دحمون، مجلة الخطاب، جامعة مولود معمري، الجزائر، العدد الثاني، ٢٠٠٧م.